ثلاثُ وثائقٍ برتغالية عن خطةٍ للاستيلاءِ على العالمِ العربي في مطلعِ القرنِ السادس عشر

ترجمة وتحقيق
عبد الرحمن عبد الله الشيخ
أستاذ مشارك للتاريخ الحديث سابقاً - جامعة الملك سعود - الرياض

مقدمة :

تضيفُ هذه الوثائقُ الثلاثُ التي ننشرها في هذا المقال جديداً لعلمِ التاريخِ ، بالإضافةِ إلى أنها رصيدٌ مهمٌ لعلمِ الوثائقِ ؛ لذا فقد حرصنا على عدمِ الاكتفاءِ بنشرها وإنما قدمنا لها بمقدمةٍ وشرحنا ظروفها التاريخية ، وعلقنا على بعض ما ورد بها - بغيرِ إطنابٍ - تاركين للباحثين في الدراساتِ التااريخيةِ مواصلة التحليل والتعليقِ ، وتصحيحِ بعض أفكارهم التاريخية بناءً عليها .

وتعودُ هذه الوثائقُ لمطلعِ القرن السادسِ عشر ، وبالتحديد سنة 1510 م لكن أفكار هذه الوثائقِ ظلت فاعلةً مؤثرةً حتى سنة 1516 م على الأقل . وهي أيضاً تُعطي ظلالاً على فتراتٍ بعد ذلك .

وتشيرُ هذه الوثائقُ في مجملها إلى خطةٍ - لم يكتب لها النجاحُ الكاملُ - حاك خيوطها الاستعماري العريق أفونسو دلبوكيرك (ولد سنة 1453 م ومات في 16 ديسمبر 1515 م) وهو ثاني نائب للملك البرتغالي في الهند ، والشاه إسماعيل الصفوي ، ومؤدى هذه الخطة هي أن يعمل الشاهُ على شغلِ السلطانِ المملوكي في مصر حتى يتمكن أفونسو دلبوكيرك من التوغلِ في البحر الأحمر والاستيلاءِ على جدة ، والوصول للسويس وبالفعل فقد هدد الشاه إسماعيل باجتياحِ حلب والشام بينما أفونسو دلبوكيرك موجود بأسطوله في البحر الأحمر سنة 1513 م مما أدى لارتباكِ السلطان المملوكي في مصر .

وبعد ذلك وضع الشاهُ إسماعيلُ خطةً للإيقاعِ بين المماليك والعثمانين وعمل على خروج السلطانِ الغوري من مصر لإصلاحِ ذاتِ البين بينه (أي الشاه إسماعيل) والعثمانيين ، فخرج السلطان الغوري من مصر فعلاً دون استعداداتٍ حقيقةٍ ، وتطورت الأمورُ بعد ذلك فكانتِ المواجهةُ العسكريةُ بين المماليك

والعثمانيين وهزيمة المماليك في مرج دابق 1516 م كما هو معروف ...

صورُ الوثائق سأضعها تباعاً

وأتركُ لكم التعليقَ

عالم المخطوطات والنوادر

المجلد الخامس العدد الأول المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢١هـ / أبريل - سبتمبر ٢٠٠٠م

عنوان المقال (وثيقة برتغالية.. كفكح الشيعة)

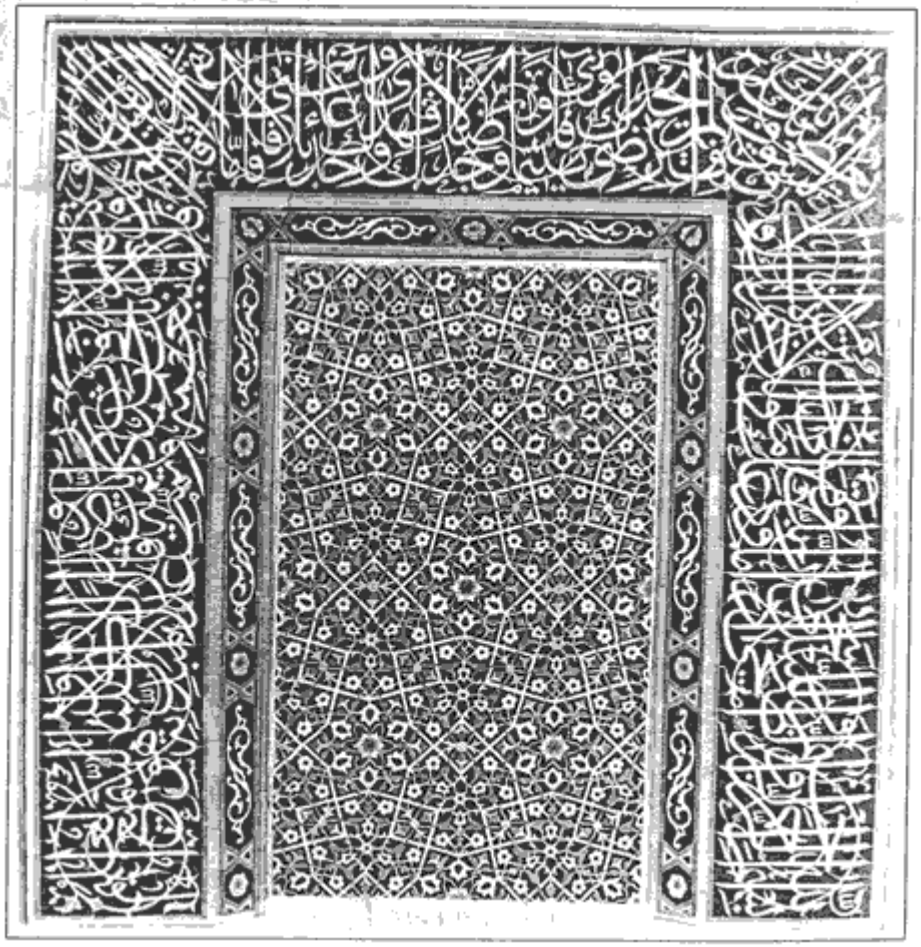

ثلاث وثائق برتغالية
عن خطة للاستيلاء على العالم العربي
في مطلع القرن السادس عشر

ترجمة وتحقيق

عبدالرحمن عبدالله الشيخ

أستاذ مشارك للتاريخ الحديث سابقاً - جامعة الملك سعود - الرياض

مقدمة :

تضيف هذه الوثائق الثلاث التي ننشرها في هذا المقال جديداً لعلم التاريخ ، بالإضافة إلى أنها رصيد مهم لعلم الوثائق ؛ لذا فقد حرصنا على عدم الاكتفاء بنشرها وإنما قدَّمنا لها بمقدمة وشرحنا ظروفها التاريخية ، وعلَّقنا على بعض ما ورد بها - بغير إطناب - تاركين للباحثين في الدراسات التاريخية مواصلة التحليل والتعليق ، وتصحيح بعض أفكارهم التاريخية بناءً عليها .

وتعود هذه الوثائق لمطلع القرن السادس عشر، وبالتحديد في سنة ١٥١٠م لكن أفكار هذه الوثائق ظلت فاعلة مؤثرة حتى سنة ١٥١٦م على الأقل . وهي أيضًا تُعطى ظلالاً على فترات بعد ذلك .

وتُشير هذه الوثائق في مجملها إلى خطة - لم يكتب لها النجاح الكامل - حاك خيوطها الاستعماري العريق أفونسو دلبوكيرك (ولد سنة ١٤٥٣م ومات في ١٦ ديسمبر ١٥١٥م) وهو ثاني نائب للملك البرتغالي في الهند، والشاه إسماعيل الصفوي، ومؤدّى هذه الخطة هي أنْ يعمل الشاه على شغل السلطان المملوكي في مصر حتى يتمكن أفونسو دلبوكيرك من التوغل في البحر الأحمر والاستيلاء على جدّة، والوصول للسويس وبالفعل فقد هدد الشاه إسماعيل باجتياح حلب والشام بينما أفونسو دلبوكيرك موجود بأسطوله في البحر الأحمر سنة ١٥١٣ مما أدى لارتباك السلطان المملوكي في مصر [1]، وبعد ذلك وضع الشاه إسماعيل خطة للإيقاع بين

المماليك والعثمانيين وعمل على خروج السلطان الغوري من مصر لإصلاح ذات البين بينه (أي بين الشاه إسماعيل) والعثمانيين، فخرج السلطان الغوري من مصر فعلاً دون استعدادات حقيقية، وتطورت الأمور بعد ذلك فكانت المواجهة العسكرية بين المماليك والعثمانيين وهزيمة المماليك في مرج دابق ١٥١٦ كما هو معروف . والذي يهمنا في هذا الصدد أنه عند خروج السلطان المملوكي من مصر متجهًا للشام كان أفونسو دلبوكيرك قد خرج من البحر الأحمر بعد أن فشل فشلاً منكرًا أمام أسوار عدن في سنة ١٥١٣ وغادر البحر الأحمر في ٤ أغسطس سنة ١٥١٣ بنية العودة إليه ثانية وتمهيداً لهذه العودة أرسل قريبه بيرو دلبوكيرك ليجول حول جزيرة سقطرى (سوقطرة) في نهاية مايو ١٥١٤ ويتوغل في رحلة كشفية في البحر الأحمر بدءًا من ٧ يوليو ١٥١٤، وأنجز بيرو دلبوكيرك هذه المهام لكن أفونسو دلبوكيرك مالبث أن مات – بعد مرض عضال – في ١٦ ديسمبر سنة ١٥١٥، وبذلك فشل هذا الشطر من الخطة .

والغريب أن المراجع العربية التي تعرضت لمعركة مرج دابق واجتياح العثمانيين للشام ومصر قد سكتت عن اتصالات الشاه إسماعيل فيما عدا مرجع واحد هو ما كتبه ابن زنبل الرمّال في كتابه (واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني)[٢] ؛ إذا ذكر أن كثيرين من عسكر الغوري كانوا يظنون أنهم ما خرجوا لقتال وإنما لعقد صلح بين الشاه إسماعيل والسلطان سليم . وبطبيعة الحال كانت هناك أسباب موضوعية أخرى ذكرتها كتب التاريخ – ولا مجال لتكرارها هنا – للخلاف المملوكي العثماني .

وكان شطر الخطة الثاني يقضي باقتسام الشاه إسماعيل وأفونسو دلبوكيرك جزر الخليج العربي، وأن يستولي الأول (الشاه) على جانبي الخليج لقاء السماح للبرتغاليين بإقامة حصون ومراكز تجارية على جانبيه، واستعد أفونسو دلبوكيرك لتنفيذ هذا الجانب من الاتفاق بعد خروجه من البحر الأحمر ١٥١٣، لذا ؛ فبمجرد وصوله إلى چوا (گوا) في الهند عاد ثانية إلى هرمز في ٢٠ فبراير ١٥١٥ ليلتقي بقائد

فارسي يُخبره بأسوأ كارثة عسكرية حاقت بالشاه إسماعيل، وكيف أن العثمانيين هزموه هزيمة منكرة في موقعة جالديران (تشالديران أو گلديران) وكيف استولوا على عاصمته تبريز مما أحزن أفونسو دلبوكيرك كثيراً ، خاصة أن الشاه إسماعيل كان قد أرسل مندوباً عنه في أكتوبر سنة ١٥١٣ للبابا ليو العاشر للثناء على جهود البرتغاليين عامة وأفونسو دلبوكيرك خاصة في الهند، وللاحتفال معه بالانتصارات البرتغالية ، وخاصة أن أفونسو دلبوكيرك كان قد كتب لملوك أوربا يحثهم على تقديم خبراء للشاه إسماعيل في صناعة المدافع ، ويحثهم للاعتماد عليه – فيما يقول أفونسو دلبوكيرك الصغير (ابن أفونسو دلبوكيرك الكبير) في مذكراته . ولنترك القارئ لقراءة هذه الوثائق ليخلص منها بما يريد الخلوص به .

الوثيقة الأولى

ترجمة خطاب أفونسو دلبوكيرك الكبير الذي حمله روي جوميز للشاه إسماعيل :

"السيد العظيم جداً ذو القوة والسلطة بين المسلمين الشيخ Xeque (الشاه) إسماعيل : أفونسو دلبوكيرك القائد العام وحاكم الهند، باسم الملك د . مانويل ذي المقام السامي جداً والقوي جداً وملك أنحاء مختلفة Algarves في هذا الجانب من البحر وذاك : ففي أفريقيا هو سيِّد غينيا، وهو سيِّد الفتوح والملاحة والتجارة في أثيوبيا وشبه الجزيرة العربية Arabia وفارس والهند، وهو سيِّد مملكة هرمز ومملكة چوا (گوا) . أريدك أن تعرف أنني عندما استوليت على چوا (گوا) المدينة والمملكة وجدتُ هناك سفيرك فأظهرت له من مظاهر التكريم شيئاً كثيراً وعاملته كسفير ملك عظيم وسيد كبير ونظرت في كل الأمور التي عرضها عليَّ تواً كما لو كان قد أُرْسل لهذه الأنحاء لملك البرتغال . وحيثُ إنني أُخبرت أن سيِّدي ملك البرتغال سيكون مسروراً للتفاهم معكم والتشاور معكم والدخول معكم في أمور مشتركة لذا فقد أرسلت لك هذا المبعوث الحالي الذي ستوليه اهتماماً لكل ما سيقوله لك نيابة عني فهو فارس سيِّدي الملك وخادمه وهو رجل متمرس في الأمور العسكرية نشأ في أحضان السلاح وفقًا للنسق البرتغالي وهو رجل كفء لأن يحكي

عن كل أمور مملكة البرتغال .

وستُحاط علمًا بشكل جيد كيف حصلتُ على هرمز ؛ المدينة والمملكة بناءً على أمر سيدي الملك، وكيف أنه منذ ذلك الوقت فصاعدا عملتُ على الحصول على معلومات عن مُلككم وقوتكم وقيادتكم ورغبت في إرسال مبعوثين Messengers لك ، إذا كانت أمور هرمز قد سارت بغير مشكلات وإني أضرع إلى الله أن تستقر مرة أخرى بسرعة لأنني أتوقع الذهاب إليها بشخصي وهناك سأعمل على الالتقاء بك على سواحل بحر مملكتك وفي موانئها ، لأن الصلاحيات التي خولنيها سيدي الملك على السفن والبحارة إنما هي لتدمير سفن السلطان وإخراجها إنْ كانت نيته (أي السلطان) معقودة على دخول الهند والتمركز فيها – وتلك هي المهمة التي نفذناها بعون الله فقد هزمنا قائد السلطان – الأمير حسين Mir-ocem ودمّرنا أسطوله في ديو Diu واستولينا على كل سفنه ومدافعه ، وقتلنا كل رجاله ، والآن فإنني أجبرتهم على الفرار واستوليت على مدينة چوا (گوا) وكل أسطولها وطردتُ منها كل الأعداء ، وهو الأمر الذي سيسرده عليك سفيرك .

"وحيث إنني أخبرت أن السلطان عدوّك ويشن الحرب ضدك، فقد أرسلت إليك هذه الأخبار عارضًا عليك أن أكون أنا وأسطولي ورجال سيدي الملك ضدَّه لندمِّره ، وسأشن الحرب ضدّه عندما تطلب مني ذلك . وإن رغبت في تدمير السلطان [٢] في معركة برية فيمكنك أن تعتمد على المساعدات العسكرية الكبرى التي تأتيك من أرمادا Armada سيِّدي الملك بحرًا ، وإني أعتقد أنه – بمتاعب قليلة – يمكن لسموكم أن تستولوا على القاهرة وكل المملكة (السلطنة) والمناطق التابعة لها، ولتحقيق هذا الهدف يمكن لسيِّدي ملك البرتغال أن يزوِّدك بمساعدات كبيرة ضد الترك Turks بحرًا ، وبذلك – أي بالأسطول البرتغالي بحرًا وبقواتك العظيمة وفرسانك برًا – يمكن أنْ نوحد جهودنا لتسديد ضربات موجعة لهم وإلحاق الضرر بهم .

وفي الهند يمتلك (أي الملك البرتغالي) أسطولاً عظيمًا يمكنه مساعدتك . وهذا يجعلك تدرك أنه يجب أن تكون راغبًا في التحالف والتعاون مع ملك عظيم جداً

كسيّدي الملك البرتغالي ، تحالفًا وتعاونًا في البحر والبر ، ويجب أن ترسل له سفراء من عندك لأنه سيكون سعيداً لرؤية واحد منهم يكون على درجة من الكفاءة تسمح له بتعريفه بمملكتك وتوابعها، وإن أراد الله لهذا التحالف والتعاون أن يتما فلتنقض بكل قواتك على القاهرة وبلاد السلطان الكبير Grand Sultan التي لها حدود مشتركة معك، وسيأتي سيدي الملك البرتغالي إلى القدس ويستولي منه على كل الأراضي في هذه الأنحاء . ولكي تتوافر المعلومات الصحيحة عن مقاصدك في هذا الأمر فإنه من المناسب أن ترسل مبعوثين وعن طريقهم سيجيبك سيدي الملك وفي هذه الأثناء دعني أعرف ما ترغب مني عمله أو إلى أية جهة يمكن لأسطول الملك البرتغالي أن يتجه لإلحاق أكبر ضرر بالسلطان ، وذلك خدمةً لك"

الوثيقة الثانية

التعليمات التي حملها روي جوميز Ruy Gamez من أفونسو دلبوكيرك الكبير، فيما يتعلق بما يجب أن يقوله للشاه إسماعيل :

"الهدف الأول لرحلتك بصرف النظر عن الطريقة والكيفية التي يمكنك إنجازها بها هو أن تتوجه مباشرة إلى حيث يوجد الشاه إسماعيل وعند وصولك إليه ستقدم له التوقير والتقدير اللذين يليقين بملك عظيم جداً .

وعند وصولك هرمز ستُرسل طلبًا لخوجة عطار ليزودك بالخيول التي ستتناوب حملك ، وليقدم لك كل ما هو ضروري لنفقاتك، وليقدم لك خطابات التوصية اللازمة لرحلتك، وذلك بناء على المشورة التي قدمتها له في خطاباتي إليه .

وفي هذه الرحلة التي أنت على وشك القيام بها ، ستكون دومًا خاضعًا لأوامر سفراء (مبعوثي) الشاه إسماعيل الذين ستصحبهم في رحلتك هذه وتنفذ نصائحهم وتسير وفقًا لما يقومون به من ترتيبات ، ولا تنفصل عنهم أبداً لرؤية المدن والحصون والشوارع والمهرجانات أو الألعاب الرياضية، ولين تسلك أي طريق آخر غير الطريق الذي يسلكونه ، لكن كُنْ دومًا تحت إمرة سفير الشاه لأنك تعلم جيداً أن المسلمين يريدون إلحاق أكبر قدرٍ من الضرر بنا .

وستقولُ للشاه إسماعيل – باسمي –

إنني أرسلتك لتقوم بهذه الزيارة نظراً لشهرته الفائقة وعظمة سيادته وشدَّة نفوذه وتأثيره ولصفاته الحسنة وشمائله العظيمة ولأنه يأوي المسيحيين ويُسبغ عليهم تشريفًا ويغمرهم بمآثره .

وستقول له كيف أن سيدي الملك سيكون سعيداً للتفاهم معه وعقد تحالف معه، وإنني (أفونسو دلبوكيرك) - باسمه ونيابه عنه - أقدم له الأسطول والجيش والمدفعية التي لديَّ والحصون والمدن والمقاطعات التي يمتلكها ملك البرتغال في الهند، وإنني سأقدم له هذه المساعدات نفسها في حربه ضد الترك .

وستقول له إنه عندما يهب ويهاجم الكعبة ليتملكها The house of Meca فسوف أدخل البحر الأحمر وأتجه بأسطولي إلى ميناء جدة وسأفعل الشيء نفسه إذا رغب في اجتياح شبه الجزيرة العربية Arabia وعدن Adan وبحراً على سواحل شبه الجزيرة العربية والبحرين Bahren والقطيف Catife والبصرة Buçora ، وإنني سأجتاح كل سواحل بحر فارس Persian Sea إذا ما استطعت الوصول والالتقاء به ، وإنني سأفعل كل شيء أقدر عليه من أجله .

وستصفُ له عظمة سيدي ملك البرتغال وممالكه والمناطق التي يحكمها dominions ومدى ثرائها وغناها بكل شيء وحدّثه عن عظمة لشبونة وجمالها وما بها من قصور ومساكن تدل على الثراء وعمّا لدينا من فضة كثيرة وذهب، وحدثه عن كثرة عدد السكان في المملكة، وكيف أنَّ سيدي ملك البرتغال لديه منجمان من مناجم الذهب يدرّان عليه كل عام كمية كبيرة من هذا المعدن النفيس وستقول له عن كثرة عدد سفن البرتغال وعظمتها، وعن الأساطيل العظيمة التي يجهزها الملك البرتغالي كل عام ويُرسلها للهند، وكيف أن أساطيله تبحر حول العالم كله وأنه أرسل أساطيل إلى الشرق East لمحاربة الترك Turks .

وستقول له كيف أن سيدي الملك قد تملك كثيراً من المدن والقرى بقوة السلاح في أفريقيا ، وكيف أن سلطانه قد امتد بسرعة على طول الساحل الأفريقي حتى رأس الرجاء الصالح ، ومنها حتى بحر الهند، وستحدثه عن الحصون البرتغالية في هذه الأنحاء ، وعن الملوك الخاضعين لسلطان

والمذابح والأيقونات والقديسين ... ولاحظ أيضًا صورة العذراء ولاحظ طريقة حياة الرهبان ورجال الدين وعاداتهم ، ولتعرف ما إذا كان في هذه الأنحاء أي رفاة لأحد من القديسيين والشهداء والرسل» (٤) .

وستحدثه بدقة عن طبيعة دولة سيدي الملك (رغم أنني في الفقرة الأولى السابقة من هذه التعليمات قلت لك أن تتعرض لهذا الأمر لمامًا وبغير تفصيل) فستذكر له بالتفصيل عظمة أعيان البرتغال ومهرجاناتها وأغنيائها، وألمعية موظفي البيت الملكي وألمعية حاشية الملك ، وجمال القصر الذي يعيش فيه، والولائم العامرة التي يقيمها وكنوزه وأحجاره الكريمة ولآلئه ومجوهراته التي يتزين بها أهل بيته بطرائق شتى (بأساليب مختلفة) وحدثه عن عظمة حاشيته وجنده الراكبين الذين يرافقونه جيئة وذهابا لحراسته ، وعن سفراء الملوك من جيرانه الذين يأتون لبلاطه دومًا وعن أمور أخرى معينة قد يرغب في سماعها منك .

وستحدثه مؤكدًا مدى ما نكنّه من ولاء لمليكنا ، ولابد أن تعرض هذا الأمر بطريقة تجعل الشاه إسماعيل يرغب بشدة في عقد تحالف وتعاون مع سيّدنا الملك والحصول على مساعدته ، وربما يأخذ على عاتقه الالتزام وحسن النية بأن يقدم هو المساعدة عندما تُطلب منه سواء إنْ طلبها ملك البرتغال نفسه أو طلبها القائد العام باسمه (أي باسم ملك البرتغال) .

وستحدثه أيضًا عما تحت أمري في الهند من قوة وأسطول ورجال وسلاح ومدفعية، وأيضًا عن الأعداد الهائلة من المدافع التي في حوزة سيدي الملك في مملكته ومدى انتشارها . وستذكر له كيف أن الجنود البرتغاليين ؛ مشاة وفرسانًا، عددهم كبير، وحدّثه عن الخيول وحليّها الفضّية والذهبيّة وسروجها وأغطيتها الفاخرة، وحدثه أيضًا عن التنظيمات العسكرية والمظهر المتألق وكيف يسير الجنود المدججون بالسلاح وطُرُز أسلحتهم .

إنني أمرك أنت والمترجم الذي معك بقراءة هذه التعليمات بدقة وأن تنسق الأمور مع مترجمك بطريقة بحيث لايكون هناك أي تعارض في كل هذه الأمور، وإنما عليكما دائمًا أن تعملا بروح الفريق لتنفيذ ما ورد في خطابي الذي كتبته له (للشاه)" .

الملك البرتغالي في كل هذه الأنحاء .

وأكثر من هذا فستحدثه عن سيّدتي الملكة، ابنة من هي وكيف أن أباها الملك وأمها الملكة يحكمان مملكتين على حدود مملكة البرتغال، وعلى هذا النحو ستسرد عليه ما يتعلق بممتلكاتها وعن خادماتها ذوات الشرف والمكانة ، وأنهن – أي هؤلاء الخادمات – بنات دوقات وماركيزات وكونتات البرتغال وكيف أنهن يظهرن مرتديات ملابس من أقمشة من ذهب وكل أنواع الحرائر الملونة محلاة بالجواهر وكيف أنهن يتزوجن – بعد قضاء فترة في خدمة الملكة – من نبلاء المملكة .

وستذكر له عن الخدمة في البيت الملكي لسيّدي الملك، وكيف يتناول جلالته الطعام على مائدته العالية ذات الدرجات الأربع بينما كل السادة الكبار وذوي الرُّتب Fidalgos الذين يتردّدون على بلاط يجلسون إلى المائدة ، وقد نزعوا أغطية رؤوسهم Caps حتى ينتهي من تناول وجبته ويتراجع عن المائدة .

وتقول له إنه (أي الشاه) يجب أن يرسل سفيراً لسيدي الملك لتدبير أمور التحالف والمساعدة ليس فقط للوقوف إلى جانبه ضدّ أعدائه وإنما أيضًا في مجال البضائع التي يمكن إرسالها من البرتغال إلى فارس عن طريق هرمز ، وتذكر له أن الملك سيساعده ضد السلطان وضد الترك بحراً وبرّاً ، وأنه (أي أفونسو دلبوكيرك) سيرسل من جانبه ليزكي فكرة التحالف معه والتعاون معه وتقديم المساعدة له .

ولا تنس أن تحدثه عن عقيدتنا Our Faith لتستطلع رأيه في هذا الموضوع وما إذا كان سيتلقاه بقبول حسن، وما ستقوله له في هذا الصدد لن يكون أكثر مما يُقال في هذه الأحوال دون توجيه أية إساءة له (الشاه) وستجمع من المسيحيين في هذه الأنحاء معلومات عما إذا كانوا يمارسون طقوس ديننا ، ويؤمنون الإيمان الصحيح ... ولابد أن تلاحظ جيداً ما إذا كان أي من مسيحيي هذه الأنحاء يمارسون طقوسًا مختلفة عن تلك التي نمارسها ، وحاول أن تدبّر طريقة لإحضار واحد من مسيحيي هذه الأنحاء معك عند عودتك، فقد يذهب إلى روما للأب المقدس to the Holy Father .

«وستتفقد كنائسهم وما فيها من زينات،

الوثيقة الثالثة

ترجمة الخطاب الذي كتبه أفونسو دلبوكيرك إلى ملك هرمز :

"الملك المبجل سيف الدين أبندار Ab-endar ملك هرمز ، باسم الملك بالغ العظمة وبالغ الرفعة د . مانويل ملك البرتغال وملك الجارف Algarves على جانبي البحر، ففي أفريقيا هو سيد غينيا ، وسيد المناطق المفتوحة Conquest والملاحة والتجارة في أثيوبيا وشبه الجزيرة العربية وفارس والهند، وفي مملكة چوا (گوا) والمناطق التابعة لها – أنا – أفونسو دلبوكيرك القائد العام وحاكم الهند، باسم سيدي ملك البرتغال أرسل لك تحياتي . هنا – في چوا – قابلت مبعوثك وأسبغت عليه تشريفًا وعاملته المعاملة الحسنة المناسبة بسبب حبي لك . كانت مغادرتي كوشن (كوشيم) بأسطول الملك بهدف أن أتجه لمدينتك مدينة هرمز لتأسيس مركز تجاري هناك ولأعين فيه أشخاصًا معينين فوضهمَ الملك . وعليك أن تعرف أن الروم Rumes جهزوا أسطولاً في چوا لكنني انقضضت على المدينة (چوا) واستوليت عليها وطردتهم منها واستوليت على كل أسطولهم ومدافعهم. وإذا استطعت أن آتي وأقضي الشتاء معك في هرمز فسأتي ، وقد أمرتُ بتجهيز كميات كبيرة من المؤن عند وصول رجال أسطولي لأن عددهم كبير جداً . لقد عفوت عن كل ما مضى ونسيته فأنا صديقك الكبير . وخوجه أمير في الطريق إليك ومعه سفينتان لسيدي الملك محملتان ببضائعه وستكون سعيداً إذا راعيته وأسديت إليه التحية الطيبة ، وكذلك هؤلاء المبعوثين الذين أرسلتهم لك حاملين رسالة من ملك البرتغال إلى الشاه إسماعيل . إنني أرسل تحياتي لأبيك وأمك . وكن واثقًا أنه في كل تعاملاتك ستكون دومًا عونًا لك كصديق مخلص . كتب في چوا، ٢٠ مارس ١٥١٠" .

رواية أفونسو دلبوكيرك الابن عن إرسال مبعوث آخر من أفونسو دلبوكيرك الكبير للشاه إسماعيل (حاملاً التعليمات نفسها والعروض نفسها التي سبق أن حملها روي جوميز) وذلك في ديسمبر ١٥١٣:

"... وصل مبعوث من سفير الشاه إسماعيل الذي كان – أي السفير – في بلاط العادل خان . وقد سبق أن تحدثت عن

هذا الرجل (سفير الشاه إسماعيل) وذكرت أنه وصل إلى چوا حاملاً رسالة لأفونسو دلبوكيرك، بينما كان هذا الأخير في مضايق البحر الأحمر . وكان فحوى رسالته هو طلب حق المرور الآمن حتى يمر (أي السفير) إلى هرمز، ويطلب من أفونسو دلبوكيرك أن يرسل بصحبته سفيراً برتغالياً للشاه إسماعيل . لكن لأن أفونسو دلبوكيرك كان راغبًا في أن يرى الرجل (السفير) كل الحصون البرتغالية في الهند خاصة حصن كلكتا الذي كان يجرى بناؤه ، فقد حثه على السفر إلى كلكتا ومن ثم إلى كوشن لأنه سيُرسله ليعود إلى بلاده (فارس) من هناك (كوشن)، وكان أفونسو دلبوكيرك راغبًا أيضًا في أن يرى المبعوث سفن الشحن العديدة التي تصل هذا العام من البرتغال وأحجامها وأن يرى كل بقية الأسطول الذي يجرى إصلاحه والمسفن (موضع بناء السفن وإصلاحها) وما فيه من عمل يجرى على قدم وساق . وذلك رغم أن ميجويل فيريرا Miguel Fereira سيحمل في التعليمات الموجهة له أوامر بأن يشير إلى كل هذه الأمور في حديثه مع الشاه إسماعيل إلا أن أفونسو دلبوكيرك كان راغبا أن يكون هذا المبعوث الفارسي شاهد عيان على عظمة ملك البرتغال .

وبعد أيام من انطلاق السفير الفارسي في جولته هذه أبحر أفونسو دلبوكيرك قاصدًا كوشن في منتصف ديسمبر ١٥١٣ فلما وصلها جهز ميجويل فيريرا خادم الملك البرتغالي بأربعة خيول مُسْرجه، وأمره أن يذهب كسفير برتغالي للشاه إسماعيل وحمله تعليمات هي نفسها التعليمات التي سبق أن حملها روي جوميز Ruy Gomez كما ذكرت آنفًا عند حديثي عن الاستيلاء على چوا أول مرة والتي لم تسفر عن أية نتيجة طيبة لأن خوجه عطار كان قد أمر بدس السم له عند وصوله هرمز رغبة منه في ألا يتم الاتصال بين البرتغاليين والشاه إسماعيل، كما سبق أن روينا بالتفصيل .

وعندما تزود ميجويل فيريرا بالتعليمات المطلوبة أمر أفونسو دلبوكيرك بتهيئة طريقة سفره ومن معه حتى دابول Dabul ، فمن هذا الميناء سيصطحب سفير الشاه إسماعيل الذي كان في انتظاره . وقد أكرم

LETTER WHICH THE GREAT AFONSO DALBOQUERQUE WROTE, AND SENT BY RUY GOMEZ TO THE XEQUE ISMAEL

"Very great and powerful Lord among the Mours, Xeque Ismael: Afonso Dalboquerque, Captain-General and Governor of India, in behalf of the very high and very powerful King D. Manuel, King of Portugal and of the Algarves on this side and on that side of the sea, in Africa Lord of Guinea, and of the conquest, navigation, and commerce of Ethiopia, Arabia, Persia, and India, and of the Kingdom and Lordship of Ormuz, and of the Kingdom and Lordship of Goa: I give you to know that when I captured the city and kingdom of Goa, I found therein your ambassador, to whom I shewed great honour, treating him as ambassador of so great a King and Lord, and I looked to all his affairs just as if he had been sent to these parts to the King of Portugal. And whereas I am informed that the King D. Manuel, my Lord, would be pleased to have an understanding and alliance and intercourse with you; therefore I send to you this present messenger to whom you are to give credit in respect of all things which he shall relate to you on my behalf, for he is a knight and servant of the King my Lord, a man well-versed in military matters, bred up in arms according to our custom, and of all the affairs of the kingdom of Portugal he will be competent to give you a very good account.

"You are well-informed how it was that I gained the city and kingdom of Ormuz in accordance with the command of the King, my Lord, and how from that time forward I strove to gain information concerning your estate, power, and command, and desired to send messengers to you, if the business of Ormuz had not miscarried, which I hope to God will soon be re-established, for I am in expectation of going thither in person, and thence I will endeavour to have an interview with you on the coast of the sea and harbours of your kingdom; for the powers which I carry from the King my Lord, of ships and mariners, are for destroying and casting out the ships of the Sultan that may enter India and desire therein to establish themselves—which deed, with the help of God, we have brought to pass, for the Sultan's captain, Mirocem, and his fleet were routed at Diu,[1] and all his ships and artillery taken, and all his people killed, and now I have put them to flight and gained the city of Goa and all its fleet and cast all the enemy out of it, as your ambassador will relate to you.

"And whereas I have been informed that he is your enemy and makes war upon you, I send you this news, offering to you for employment against him my person and fleet, and the men of the King my Lord, to help to destroy him, and I will be against him whensoever you shall require this of me. And if you desire to destroy the Sultan by land, you can reckon upon great assistance from the Armada of the King my Lord by sea, and I believe that with small trouble you must gain the lordship of the city of Cairo, and all his kingdom and dependencies, and thus the King my Lord can give you great help by sea against the Turk, and thus his fleets by sea and you with your great forces and cavalry by land can combine to inflict troublous injuries upon them.

"And in India he has great fleets wherewith he can help you. And thus you will gather that you ought to desire to obtain alliance and co-operation with so great a king as is the King my Lord by sea and by land, and you ought to send him your ambassadors, for he will be very glad to see any one who is competent to give an account of your kingdoms and your dependencies. And if God grant that this intercourse and alliance be ratified, come you with all your power against the city of Cairo and the lands of the Grand Sultan which are on the borders of your own, and the King my Lord shall pass over to Jerusalem and gain from him all the land on that side. And for the sake of correct information with respect to your intentions in this matter, it is befitting that you should send your messengers, and through them get a reply from the King my Lord, and meanwhile let me be advised of what you wish me to do, or in what quarter the fleet of the King my Lord can proceed and inflict most injury upon the Sultan for your service."

الترجمة الإنجليزية – عن البرتغالية – للأستاذ والتر دي جراي بيرش Birch عضو جمعية أعالي البحار الملكية البريطانية للوثائق السابقة :

الخطاب الذي أرسله أفونسو دلبو كيرك – عن طريق روي جوميز Ruy Gomez إلى الشاه إسماعيل

الموقف الإيراني الخفي تجاه العدوان الأمريكي على العراق

نشرت سابقا منذ شهر شعبان 1423 بعض ما يدل على التعاون الأمريكي-الإيراني وقد تم شرح هذا في الفضائيات أيضا وننقل تلك المستندات ثم لنرى ما هي المستجدات ،

التعاون الإيراني – الأمريكي ضد العراق

انقلاب اسلامي رقم 552

إن رفسنجاني أقنع خامنئي-مرشد الثورة- بما يلي :

1 - إن الحرب على العراق قادمة لا محالة وعدم تعاوننا مع أمريكا يعني أن نعطيها كل الذرائع كي تشن حربا علينا بعد العراق ، لكن التعاون مع أمريكا ضد العراق يوصل أمريكا الى أهدافها بأقل خسارة وتكون مدينة لنا في نفس الوقت ، وبعد ذلك مباشرة ستكون هناك فرصة لتطبيع علاقاتنا معها

لكن بما أن الحرب الأمريكية على العراق ستغضب الرأي

العام العربي فكما فعلنا بالنسبة لأفغانستان يجب أن يستمر القائد في خطاباته النقدية ، ولايجب أن يكون تعاونا علنيا ، وسنعقد اتفاقا مع تركيا والسعودية-بعد الصدام-بتمامية الأراضي العراقية وسنرضي به الدول العربية ، ولا شك أن التعاون مع أمريكا يكون من ضمنه استئصال الخاتمية والإصلاحيين بأسرهم ،

نشرت أسبوعية دبكانت Debkanet Weekly في 27 /9/2002 ما يلي :

إن وفدا امريكيا التقى بوفد إيراني برياسة عباس ملكي(مندوب خامنئي) وبعد أشهر من المفاوضات الصعبة بين إيران وأمريكا حصل الاتفاق التالي :

إن وفدا امريكيا التقى بوفد إيراني برياسة عباس ملكي(مندوب خامنئي) وبعد أشهر من المفاوضات الصعبة بين إيران وأمريكا حصل الاتفاق التالي :

إن التعاون ضد العراق سيكون قائما بين الطرفين

الإيراني-الأمريكي كما كان تماما ضد طالبان والقاعدة، إن التفاوض حصل بين وفد من المجلس الوطني الأمريكي ومندوب مرشد الثورة عباس ملكي المعاون السابق للوزارة الخارجية، وكان مفاوضه الأمريكي شخص باسم مستعار توم سركيس واسمه الحقيقي جوناتان اسميت جي آر وعرف نفسه أنه من السلك الديبلوماسي الأمريكي في الكويت،

وتم توقيع اتفاقيات سرية ذات ثمانية بنود ثلاثة منها تتعلق بأمريكا :

1 - إن القوات الإيرانية غير النظامية ستقبل تواجدها الفعلي في القسم الشمالي للعراق الواقع تحت سيطرة أمريكا وتركيا وستشارك هذه القوات في العمليات ضد صدام حسين

2 - إن أمريكا وإيران ستتعاونان في الميدان السياسي لتشكيل دولة بديلة عن صدام حسين ، وان المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق سيشارك في

تركيبة المعارضة والدولة القادمة، وويعقد المجلس الوطني الموقت جلسة في اربيل ويعلن عن المجلس الوطني العراقي، ثم هذا المجلس يعلن انحلال النظام العراقي وحزب البعث ، وسيستدعي هذا المجلس أمريكا وانكلترا لمساعدة الشعب العراقي ولينقذوه من استبداد صدام حسين

سوف تشكل أمريكا مظلة حماية للشيعة في الجنوب، وان الشيعة في الجنوب كما في الشمال سيشاركون في الحكومة الفيدرالية العراقية المقبلة

3 - إن أمريكا ستقدم الحماية لإيران في حال تعرض أراضيها لأي هجمات من قبل العراق سواء بأسلحة تقليدية أو كيماوية أوبيولوجية

وأما ما تعهدت به إيران :

4 - إن القوات النظامية الإيرانية لن تدخل لا قبل الحرب ولابعدها الى الأراضي العراقية

5 - إن إيران لن تقوم بأي أضرار لمخازن البترول والمؤسسات البترولية

6 - إن القوى الإيرانية لن تستقر في مناطق الشيعة ولن تعلن مخالفتها لأمريكا في مناطق الشيعة لا في وقت الحرب ولابعدها، ولن تتدخل إيران بعد ذلك في الشأن الداخلي العراقي

7 - تستطيع القوات الأمريكية الخاصة دخول الأراضي الإيرانية بمشاركة الضباط الإيرانيين لتتمكن من تعقب عناصر القاعدة في الحدود الأفغانية

ولتنفيذ هذا الاتفاق دخل فريق من جيش بدر وعناصر من الحرس الثوري المتخصصة ضد الإرهاب إلى شمال العراق وذلك برفقة فريق من القوات الأمريكية الخاصة والقوات التركية عبر مدينة سليمانيةالى محا استقرارهم .

دور ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي في سقوط الدولة العباسية

التحالف الشيعي المغولي و إسقاط الخلافة الإسلامية ببغداد

من المعروف أن من أهم أسباب انهيار الحضارة الإسلامية و انتقالها للغرب هو سقوط دار العلم بغداد بيد المنغول. هذا السقوط لم يكن ممكناً لولا مساعدة الشيعة للمنغول.

و لا يخفى على من له أدنى وعي تاريخي بالشيعة دور الوزير ابن العلقمي الخياني في سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك ، وما جره على المسلمين من القتل والخراب والذل والهوان بالاتصال بهولاكو وإغرائه بغزو العراق وهيأ له من الأمور ما يمكنه من السيطرة والاستيلاء .

وقد سلك ابن العلقمي في التخطيط لذلك الأمر بأن أشار على الخليفة المستعصم بتسريح أكبر عدد ممكن لتخفيف الأعباء المالية على الميزانية العامة فوافقه

الخليفة على ذلك ولم يكن يعلم الخليفة بأن اقتراح الوزير ما هو إلى إضعاف جيش الخلافة في مواجهة الغزاة التتار حتى أن الجنود تدهورت حالتهم الاجتماعية والمالية مما اضطرهم إلى الاستخدام في حمل القاذورات.

ولكي نلم ببعض جوانب تلك الخيانة العلقمية نورد بعض أقوال المؤرخين في بيان حقيقة ابن العلقمي وما قام به من المساهمة في سقوط الخلافة الإسلامية:

يقول : جلال الدين السيوطي: إن ابن العلقمي كاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد

يقول : أبو شامة شهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل: إن التتار استولوا على بغداد بمكيدة دبرت مع وزير الخليفة

يقول : قطب الدين اليونيني البعلبكي وكاتب الوزير ابن العلقمي التتر وأطمعهم في البلاد ، وأرسل إليهم غلامه

وسهل عليهم ملك العراق ، وطلب منهم أن يكون نائبهم في البلاد ، فوعدوه بذلك ، وأخذوا في التجهيز لقصد العراق ، وكاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في أن يسير إليهم ما يطلبونه من آلات الحرب ، فسير إليهم ذلك ولما تحقق قصدهم علم أنهم إن ملكوا العراق لا يبقون عليه فكاتب الخليفة سراً في التحذير منهم ، وأنه يعد لحربهم فكان الوزير لا يوصل رسله إلى الخليفة ومن وصل إليه الخليفة منهم بغير علم الوزير اطلع الخليفة وزيره على أمره ..

ويتابع البعلبكي في وصف جيوش التتار الزاحفة عل ى بغداد وبعد أن تمكنوا هزيمة الحامية الهزيلة في صد الغزو فيقول ؛ فحينئذ أشار بن العلقمي الوزير على الخليفة بمصانعة ملك التتر ومصالحته وسأله أن يخرج إليه في تقرير زواج ابنته من ابنك الأمير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما أبقى سلطان الروم في سلطنة الروم لا يؤثر إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية، وينصرف بعساكره عنك فتجيبه إلى هذا فإنه فيه حقن دماء المسلمين ،

ويمكن بعد ذلك أن يفعل ما تريد فحسن له الخروج إليه فخرج في جمع من أكابر أصحابه فأنزل في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا عقد النكاح فيما أظهره فخرجوا فقتلوا وكذلك صار يخرج طائفة بعد طائفة

يقول : شمس الدين الذهبي وأما بغداد فضعف دست الخلافة وقطعوا أخبار الجند الذين استنجدهم المستنصر وانقطع ركب العراق، كل ذلك من عمل الوزير ابن العلقمي الرافضي جهد في أن يزيل دولة بني العباس ويقيم علويا وأخذ يكاتب التتار ويراسلونه والخليفة غافل لا يطلع على الأمور ولا له حرص على المصلين

يقول : ابن شاكر الكتبي وأخذ يكاتب التتار إلى أن جرأ هولاكو وجره على أخذ بغداد

يقول : عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي وكان شيعيا رافضياً في قلبه غل للإسلام وأهله وحبب إلى الخليفة جمع المال والتقليل من العساكر فصار الجند يطلبون

من يستخدمهم في حمل القاذورات ومنهم من يكاري على فرسه ليصلوا إلى ما يتقوتون به

ثم يصف لنا السبكي مؤامرة ابن العلقمي في قتل الخليقة والعلماء والفقهاء واستباحة بغداد وإراقة الخمور في بيوت الله تعالى

فيقول: وقصد هولاكو بغداد من جهة البر الشرقي ثم إنه ضرب سوار على عسكرة وأحاط ببغداد فأشار الوزير على الخليفة بمصانعتهم وقال؛ أخرج أنا إليهم في تقرير الصلح، فخرج وتوثق لنفسه من التتار ورجع إلى المعتصم وقال؛ إن السلطان يا مولانا أمير المؤمنين قد رغب في أن يزوج بنته بابنك الأمير أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة كما أبقى صاحب الروم في سلطنته ولا يؤثر إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية ، ونصرف عنك بجيوشه فمولانا أمير المؤمنين يفعل هذا فان فيه حقن دماء المسلمين وبعد ذلك يمكننا أن نفعل ما نريد والرأي أن تخرج إليه . فخرج أمير المؤمنين بنفسه في طوائف من الأعيان

إلى باب الطاغية هولاكو ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم.

فأنزل الخليفة في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ثم طلب حاشية الخليفة فضرب أعناق الجميع ثم طلب أولاده فضرب أعناقهم، و أما الخليفة فقيل أنه طلبه ليلا وسأله عن أشياء ثم أمر به ليقتل. فقيل لهولاكو: إن هذا إن أريق دمه تظلم الدنيا و يكون سبب خراب ديارك فإنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة الله في أرضه فقام الشيطان المبين الحكم نصير الدين الطوسي وقال يقتل ولا يراق دمه وكان النصير من أشد الناس على المسلمين، فقيل إن الخليفة غم في بساط و قيل رفسوه حتى مات.

و لما جاءوا ليقتلوه صاح صيحة عظيمة، و قتلوا أمرائه عن أخرهم، ثم مدوا الجسر وبذلوا السيف ببغداد و استمر القتل ببغداد بضعاً وثلاثين يوماً و لم ينجوا إلى

من اختفى و قيل إن هولاكو أمر بعد ذلك بعدّ القتلى فكانوا ألف ألف وثمانمائة ألف النصف من ذلك تسعمائة ألف غير من لم يعد و من غرق ثم نودي بعد ذلك بالأمان فخرج من كان مختبئ وقد مات الكثير منهم تحت الأرض بأنواع من البلايا والذين خرجوا ذاقوا أنواع الهوان والذل ثم حفرت الدور وأخذت الدفائن والأموال التي لا تعد ولا تحصى وكانوا يدخلون الدار فيجدون الخبيئة فيها وصاحب الدار يحلف أن له السنين العديدة فيها ما علم أن بها خبيئة، ثم طلبت النصارى أن يقع الجهر بشرب الخمر و أكل لحم الخنزير و أن يفعل معهم السلمون ذلك في شهر رمضان، فألزم المسلمون بالفطر في رمضان و أكل الخنزير و شرب الخمر، و دخل هولاكو إلى دار الخليفة راكباً لعنه الله و استمر على فرسه إلى أن جاء سدة الخليفة و هي التي تتضاءل عندها الأسود و يتناوله سعد السعود كالمستهزئ بها و انتهك الحرم من بيت و غيره، و أعطى دار الخليفة لشخص من النصارى و أريقت الخمور في المساجد و الجوامع و منع المسلمون من الإعلان بالأذان فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذه بغداد لم تكن دار كفر قط و جرى عليها هذا

الذي لم يقع قط من منذ قامت الدنيا مثله، و قتل الخليفة و إن كان وقع في الدنيا أعظم منه إلا أنه أضيف له هوان الدين و البلاء الذي لم يختص بل عم سائر المسلمين.

يقول : حسن الديار بكري ؛ ابن العلقمي الرافضي كان قد كتب إلى هولاكو ملك التتار في الدست أنك تحضر إلى بغداد وأنا أسلمها لك . و كان قد داخل قلب اللعين الكفر، فكتب هولاكو : إن عساكر بغداد كثيرة فإن كنت صادقا فيما قلته ، و داخلا في طاعتنا ، فرّق عساكر بغداد ، و نحن نحضر ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، و دخل إلى المستعصم و قال ؛ إنك تعطي دستورا لخمسة عشر ألف من عسكرك وتوفر معلومهم. فأجاب المستعصم لذلك ، فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر في الديوان ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بها ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفا من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بما فعل و كان قصد الوزير بمجيء هولاكو أشياء منها :

أنه كان رافضيا خبيثا وأراد أن ينقل الخلافة من بني العباس إلى العلويين فلم يتم له ذلك من عظم شوكت بني العباس وعساكرهم ففكر أن هولاكو قد يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود لحال سبيله وقد زالت شوكت بني العباس وقد بقي هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدبير المملكة فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع لضعف العساكر و لقوته ثم يضع السيف في أهل السنة فهذا كان قصده لعنه الله.

و لما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها وصار المستعصم يستدعي العساكر ويتجهز لحرب هولاكو وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو وخرجوا إلي ظاهر بغداد ومضي عليهم بعساكره فقاتلوا قتالا شديدا، وصبر كل من الطائفتين صبرا عظيما ، وكثرت الجراحات والقتلى في الفريقين إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر هولاكو أقبح كسرة وساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة وعادوا بالأسرة ورؤوس القتلى إلى ظاهر

بغداد ونزلوا بخيمهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شط دجلة فخرج مائها على عساكر بغداد وهم نائمون فغرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم وصار السعيد منهم من لقي فرسا يركبها، وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ويأمره بالرجوع إلى بغداد فرجعت عساكره إلى بغداد وبذلوا فيها السيف.

ويقول الأستاذ حسن السوداني- معاصر: لقد اتفق ابن العلقمي والطوسي مع ملة الكفر ضد الخلافة الإسلامية بحجة الدفاع عن أنصار الإمام علي رضي الله عنه وشيعته . ومعرف أن الطوسي يسمى أستاذ البشر والعقل الحادي عشر ، و سلطان المحققين وأستاذ الحكماء والمتكلمين و أصله من طوس وهي من توابع مدينة قم ، و يعتبر الطوسي فخر الحكماء ومؤيد الفضلاء ونصير الملة ، ولا ندري هل كان هولاكو من هؤلاء الفضلاء الذين أيدهم الطوسي ؟ وهل كان المغول هي الملة التي نصرها الطوسي على المسلمين فهتكت الأعراض وخربت مركز الحضارة الإسلامية ؟ لقد

كان الطوسي وابن العلقمي من حاشية هولاكو وهو يخرب ضريح الإمام موسى الكاظم فلم يبد منهما ما ينم عن اعتراض!

تجمع المصادر التي وصفت الساعات الأخيرة من حياة الخلافة العباسية الإسلامية على أن هولاكو قد استشار أحد المنجمين قبل أن يبدأ غزوته و كان المنجم الفلكي حسام الدين مسلما غيورا على المسلمين و حياتهم فقرأ له ما يلي: إن كل من تجاسر على التصدي للخلافة و الزحف بالجيش إلى بغداد لم يبق له العرش و لا الحياة ، و إذا أبى الملك أن يستمع إلى نصحه و تمسك برأيه فسينتج عنه ست مهالك: تموت الخيل ، و يمرض الجند ، لن تطلع الشمس و لم ينزل المطر ثم يموت الخان الأعظم.

لكن مستشاري هولاكو قالوا بغزو بغداد وعدم الاستماع لرأي المنجم ، فاستدعى هولاكو العلامة نصير الدين الطوسي الذي نفا ما قاله حسام الدين و طمأن هولاكو بأنه لا توجد موانع شرعية تحول دون إقدامه على الغزو

و لم يقف الطوسي عند هذا الحد بل أصدر فتوى يؤيد فيها وجهة نظره بالأدلة العقلية و النقلية وأعطى أمثلة على أن كثيرا من أصحاب الرسول قتلوا ولم تقع الكارثة، و غزا هولاكو بغداد بفتوى الطوسي وبمعلومات ابن العلقمي وهما وزيراه الفارسيان ، و لم يستسلم المستعصم فقد أشار عليه البعض بأن ينزل بالسفينة إلى البصرة ويقيم في إحدى الجزر حتى تسنح الفرصة ويأتيه نصر الله لكن وزيره ابن العلقمي خدعه بأن الأمور ستسير على ما يرام لو التقى بهولاكو.

فخرج المستعصم ومعه 1200 شخصية من قضاة ووجهاء وعلماء فقتلهم هولاكو مرة واحدة، و وضع المستعصم في صرة من القماش و داسته سنابك الخيل وكان قتلى بغداد كما تقول المصادر المعتدلة 800 ألف مسلم ومسلمة كانوا هم ضحايا ابن العلقمي و الطوسي و الأخير كان قد أصدر فتوى بجواز قتل المستعصم حين تردد هولاكو عن قتله ،،،فافهمه الطوسي أن من هو خير منه قد قتل و لم تمطر الدنيا دماً، و قد استبيحت بغداد في اليوم العاشر من شباط عام 1258 و لم يكن

ذلك اليوم آخر نكبة حلت بالأمة على يد الوزراء الفرس و لابسي العمامة الفارسية المجوسية.

و الشيعه في جميع ادوار التاريخ يتملقون للحكام المسلمين اذا كانت الدوله قويه ، اما اذا ضعفت او هوجمت من عدو انحازوا الى صفوفه وانقلبوا عليها. كما حصل في أواخر الدولة الأموية ، حيث كانت ثوره العباسيين عليهم بتسويل الشيعه و تحريضهم و دسائسهم ، ثم كانوا في مثل هذا الموقف الاجرامي مع دولة بني العباس ايضاً عندما كانت مهدده باجتياح هولاكو والمغول الوثنيين لخلافة الاسلام و عاصمة عزه ومركز حضارته وعلومه ، فبعد ان كان النصير الطوسي حكيم الشيعه ينظم الشعر في التزلف للخليفه العباسي المعتصم ، مالبث ان انقلب عليه سنة 655 محرضا عليه ومتعجلا نكبة الاسلام في بغداد وجاء في طليعة موكب السفاح هولاكو واشرف معه على اباحة الذبح العام في رقاب المسلمين والمسلمات اطفالا وشيوخا ، ورضي بتغريق كتب العلم الاسلامي في دجله حيث ذهب نفائس

التراث الاسلامي ، وقد اشترك معه في ارتكاب هذه الخيانة العظمى زميلان له احدها : وزير شيعي وهو محمد بن احمد العلقمي ، والاخر : مؤلف معتزلي اكثر تشيعاً من الشيعه وهو عبد الحميد بن ابي الحديد ، اليد اليمنى لابن العلقمي، وقد عاش عدوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شحن به شرحه الخبيث لكتاب (نهج البلاغه) من الاكاذيب التي شوهت تاريخ الاسلام ولا يزال ينخدع بها من يجهلون حقائق ماضي الاسلام ودخائله.

فالمصادر التي مرت عليك أخي القارئ أجمعت على أن ابن العلقمي كان الساعد الأيمن لهولاكو في غزو بغداد واستباحة الأموال والأنفس وقد ساعد هولاكو في قتل الخليفة عندما أحجم عن قتله نصير الدين الطوسي بإصدار فتوى بجواز ذلك.

و مع ذلك يقول حاخام إيران الأكبر الخميني: و يشعر الناس بالخسارة بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي و أضرابه ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام و نحن نسأل

نائب الخرافة المنتظر ما هي الخدمات التي قدمها للإسلام و المسلمين غير القتل و الإرهاب؟ و أما إذا كان يقصد خدماته التي قدمها للطاغية التتري هولاكو و أنه يمثل الإسلام، فهذا يكون له وجه آخر عند من يكون همهم معاونة الكفار على أهل السنة.

و لا يزال الشيعه الى هذه العصور المتأخره تتلذذ بالشماته و تتمتع بالعداوه للاسلام بما حل به في نكبة هولاكو. و كتاب (روضات الجنات) للخونساري مليء بمدح السفاحين والخونه ، و الشماته بما وقع يومئذ للاسلام ، و التشفي من ضحايا تلك النكبة من خاصه و عامه و السرور بما جرى من الذبح العام للمسلمين.

دور الشيعة في انحسار الـمد الإسلامي في اوروبا

عندما توج اسماعيل الصفوي ملكاً أعلن أن المذهب الرافضي هو المذهب والمعتقد الرئيسي لإيران وذلك بعد دخوله تبريز وكل من يخالف ذلك ويرفضه فإن مصيره ((القتل)) .. حتى قيل أن عدد من قتلوا في

مذبحة تبريز أكثر من عشرين ألف شخص .. وقد مورس ضد السكان السنة أبشع أنواع القتل والتنكيل . ولقد كانت الدوله الصفويه الرافضيه تحارب الدولة العثمانيه بل وتتحد مع النصارى ضد أهل السنة .. في حين كانت الدولة العثمانية رافعة راية الإسلام مدافعة عن الدول الإسلامية من الهجمات الصليبية . حيث كانت الدولة الصفوية ُتحيك المؤامرات ضدها وتدخل في اتفاقيات مع دول اوربا الصليبية لمحاولة القضاء على القوة العثمانية .

يقول : (بوسيك سفير فرديناند) في بلاط السلطان محمد الفاتح حين صرح قائلاً : إن ظهور الصفويين قد حال بيننا (يقصد الأوربيين) وبين التهلكة (يقصد الهلاك على يد العثمانيين) .

فقد تسببت الكثير من الحروب في أن يرجع القادة العثمانيون من فتوحاتهم في أوروبا ليوقفوا الزحف الصفوي على الأراضي الُسنية كما حدث مع السلطان سليم العثماني رحمه الله حينما عاد من فتوحاته في

أوروبا ليواجه إسماعيل الصفوي .. وكما حدث مع السلطان سليمان رحمه الله حينما حاصر (النمسا) وكان يدك أسوارها لمدة ستة أشهر وكاد أن يفتحها .. ولكن طارت إليه أنباء من الشرق جعلته يُكر راجعاً إلى استانبول لقد كانت نذر الخطر الصفوي .

اتفاقيات ومؤامرات الصفويين مع النصارى ضد الدولة العثمانية

بعد الهزيمة النكراء التي لحقت بالصفويين في موقعة (جالديران) في عهد الشاه اسماعيل الصفوي أمام السلطان العثماني سليم رحمه الله تحرك الصفويون للتحالف مع البرتغاليين لتغطية الهزيمة التي لحقت بهم وكان من ابرز النقاط :

1- تصاحب قوة بحرية برتغالية حملة إيران على البحرين والقطيف .

2- تتعاون البرتغال مع إيران في إخماد حركات التمرد في بلوجستان ومكران .

3 - تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية .

4- تصرف حكومة إيران النظر عن جزيرة هرمز ، وتوافق

على أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال ، وأن لاتتدخل في أمورها الداخلية .

كما أرسل شاه اسماعيل السفراء إلى بلاط فينسيا طالباً الهجوم على العثمانيين عن طريق البحر وأن يقوم هو بالهجوم من ناحية البر .. ومن الدول التي كانت إيران تسعى لإيجاد علاقات معها للتخلص من الدولة العثمانية إسبانيا والمجر حيث بعث الشاه اسماعيل اليهم برسالتين طلب فيها عقد معاهدة وصداقة وتعاون بغرض سحق العثمانيين .

وكانت للشاه عباس كذلك اتصالات ومؤامرات مع الجانب الصليبي , فقد قدم الشاه عروضا للاسبان عن طريق البنادقه لكي يتقاسما اراضي الدوله العثمانيه فتحصل الاولى على الجزء الاوروبي وتستأثر الثانيه بالاسيوي ,, ولم يكن هذا العرض سوى واحد من عروض كثيره حملها سفراء ايرانيون كانوا يقطعون المسافه بين اوروبا وايران جيئة وذهابا .

وكان هذا هو المنهج الذي نهجه الصفويون في تعاملهم مع دولة السنه ,, منهج كيد وتأمر . استفادت منه الدول الاوربيه اعظم استفاده .

ويرى الرافضة ان تقاربهم مع الصليبين وأهل الكفر بمختلف نحلهم هو افضل من تقاربهم مع اهل السنة ... كما يذكر ذلك ويقرره المؤرخ الشيعي عباس اقبال في كتابه " تاريخ ايران بعد الاسلام " حيث يقول في صفحة 647 : " يعد الشاه اسماعيل بلا شبهه احد ارشد واكبر ملوك يران ومع انه تخطى جادة الانصاف والمروءه في تحميل مذهب التشيع على شعب ايران وكان اغلبهم حتى ذاك الوقت من السنة فسفك دماء كثيرة من الابرياء بقسوه الا ان سياسته في هذا السبيل أي ايجاد الوحده المذهبيه في ايران وجعل المذهب الشيعي مذهبا رسميا في ايران واختيار السيرة التي سار عليها خلفاؤه قد افضت الى نتيجة هامه جدا . هي حفظ المجتمع الايراني من شر هجمات السلاطين العثمانيين المتعصبين وقد حالت سياسة الملوك الصفويين بعداوتهم الدينيه للعثمانيين دون انخداع اهل ايران

بدعوتهم وانخراطهم بفقد استقلالهم في المجتمع السني .ا.هـ.

تحالف الرافضة مع الصليبين و حربهم ضد صلاح الدين

في الوقت الذي كان السلاجقة المسلمون يتعرضون فيه للزحف الصليبي شمال بلاد الشام، استغل العبيديون الرافضة (المتسمين بالفاطميين) الفرصة فاحتلو صور 1097م أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية، و استقل بطرابلس القاضي ابن عمار أحد أتباع العبيديين، بل أرسل العبيديون للصليبيين أثناء حصارهم لأنطاكية سفارة للتحالف معهم و عرضو عليهم قتال السلاجقة بحيث يكون القسم الشمالي (سوريا) للصليبيين و فلسطين للعبيديين، و أرسل الصليبيون وفداً إلى مصر ليدللو على حسن نياتهم! و هكذا... فأثناء انشغال السلاجقة بحرب الصليبيين كان العبيديون منشغلين بتوسيع نفوذهم في فلسطين على حساب السلاجقة حتى أن حدودهم امتدت حتى نهر الكلب شمالاً و نهر الأردن شرقاً !

على أن الصليبيين غدرو بحلفائهم العبيديين و دخلو مناطق فلسطين في ربيع عام 1099 م في قوة عدادها ألف فارس و خمسة آلاف من المشاة فقط! فمرو بعكا التي قام حاكمها بتمون الصليبيين! ثم قيسارية ثم أرسوف، ثم احتلو الرملة و الله و بيت لحم، ثم احتلو بيت المقدس و لبثو يقتلون المسلمين و قتلو بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين و علمائهم و عبادهم. أما الدولة العبييدية فواجهت الخبر ببرود !

و تواصل الجهاد ضد الإفرنج . لكن في عام 541 هـ استشهد عماد الدين زنكي ــ بعد أن حمل راية الجهاد أكثر من عشرين عاماً ــ غدراً على يد جماعة من الرافضة الإسماعيليون المدعوون بالحشاشين . ثم استلم ابنه نور الدين الحكم من بعده فأكمل مسيرة الجهاد ضد الرافضة و الصلييبيين . و كان حنفي المذهب شديد التقى ، لم يعرف المسلمون بعد الخلفاء الراشدين أحداً مثله في العدل . فدخلت جيوشه مصر ثم

أمر قائده صلاح الدين الأيوبي بإنهاء الدولة العبيدية (المدعوة بالفاطمية) في عام 577 هـ . كما قُتِّل في إحدى المعارك أمير أنطاكية ريموند ، و زعيم الباطنية المتعامل معهم ضد المسلمين علي بن وفا .

و عندما استلم صلاح الدين الحكم كان أول ما فعله أن استبدل أئمة المساجد و القضاة في مصر بالعلماء الشافعية بدلاً من الرافضة. و رأى منه أهل مصر من العدل ما لم يروه منذ قرون طويلة من حكم الرافضة، فتحولو كلهم في زمانه إلى الإسلام و كان ذلك نهاية مذهب الشيعة في قارة افريقيا. و حاول الرافضة الإسماعيليون المدعوون بالحشاشين اغتياله عدة مرات. و حاول احتلال عاصمتهم مصياف في جبال الساحل السوري لكنه لم يوفق في ذلك. و يذكر أنه لولا مساعدة الرافضة للصليبيين و قيامهم بفتح أسوار عكا لما نجح ريتشارد الصليبي من دخول المدينة .

و استمر التحالف الصليبي الرافضي بعد صلاح الدين، و توسع هذا التحالف ليشمل التتار أيضاً. على أن المماليك

كانو أقل حزماً في قتال الرافضة، فبقي بعضهم مختبأً في جبال ساحل بلاد الشام حتى يومنا هذا. و هم الشيعة الإثني عشر في جنوب لبنان و الدروز في جبال لبنان (ارتحل بعضهم إلى جبل العرب و الجليل في القرن الماضي) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : الرافضة أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلماً يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد النبيين من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه ، و يوالون الكفار و المنافقين من اليهود و النصارى و المشركين و الملحدين كالنصيرية و الإسماعيلية و غيرهم من الضالين . فتجدهم أو كثيرا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين و الكفار و اختلفت الناس فيما جاءت به الأنبياء فمنهم من آمن و منهم من كفر سواء كان الاختلاف بقول أو عمل كالحروب بين المسلمين و أهل الكتاب والمشركين ، تجدهم يعاونون المشركين و أهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن ، كما قد جربه الناس منهم غير

مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخرسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك. وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك في وقائع متعددة من أعظم الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة ، فإنه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقتل من المسلمين مالا يحصي عدده إلى رب الأنام كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة الكافرين هكذا معاونتهم لليهود أمر شهير حتى جعلهم الناس لهم كالحمير .

ويقول أيضاً : الشيعة ترى أن كفر أهل السنة أغلظ من أكفر اليهود والنصارى لأن أولئك عندهم كفار أصليون وهؤلاء كفار مرتدون وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين فيعانون التتار على الجمهور وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان ملك الكفار إلى بلاد الإسلام وفي قدوم هولاكو إلى العراق وفي أخذ حلب ونهب الصالحية وغير ذلك بخبثهم

ومكرهم ولهذا السبب نهبوا عساكر المسلمين ، لما مر عليهم وقت انصرافه إلى مصر في النوبة الأولى .

و لهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين ، وظهر فيهم من معاونة التتار والإفرنج على المسلمين ، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر ، وكذلك فتح المسلمين لعكا وغيرها .وظهر فيهم من الانتصار للإفرنج والنصارى ، وتقديمهم على المسلمين ، ما قد سمعه الناس منهم ، وكل هذا الذي وصفت بعض أمورهم ، وإلا و الأمر أعظم من ذلك . وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إلى أهل القبلة إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم منهم أشد ضررا على الدين و أهله و أبعد من شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية.

كتبه
عَـبْـد الـلَّـه بن محمد زُقَـيْـل
zugailam@islamway.net